القدوة الحسنة

٤

سفيان بن عيينة

شيخ الإسلام وحافظ العصر

محمد خير يوسف

دار ابن حزم

سفيان بن عيينة

شيخ الإسلام وحافظ العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

القدوة الحسنة

(٤)

سفيان بن عيينة

شيخ الإسلام وحافظ العصر

محمد خير يوسف

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين

وعلى آله وأصحابه أجمعين .

بداية حياته .. وشيء من سيرته

لو رأيتني يا نَضْر ولي عشرُ سنين .
طولي خمسة أشبار ،
ووجهي كالدينار ،
وأنا كشعلة نار ،
ثيابي صغار ،
وأكمامي قِصار ،
وذيلي[1] بمقدار ،
ونعلي كآذان الفار ،
أختلفُ إلى علماء الأمصار ،
كالزُّهري وعمرو بن دينار ،
أجلس بينهم كالمسمار .
محبرتي كالجوزة ،

---

(١) الذيل : أسفل الثوب .

ومقلمتي كالموزة ،
وقلمي كاللوزة .
فإذا أتيتُ قالوا : أوسعوا للشيخ الصغير !
ثم ضحك !

هذا ما رواه بعضهم عن سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، الكوفي ، ثم المكي . . وهو يتحدث عن بداية حياته ، مخاطباً النَّضْر الهلالي . .

فقد ولد بالكوفة سنة ١٠٧هـ ، وكان أبوه من عمال خالد بن عبدالله القسري ، فلما عُزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر الثقفي ، طلبَ عمَّالَ خالد ، فهربوا منه ، فلحق عيينة بمكة ، فنزلها .

ويتابع سفيان سرد ذكريات صباه فيقول :
لما بلغتُ خمس عشرة سنة ، دعاني أبي فقال لي : يا سفيان ! قد انقطعت عنك شرائع الصِّبا ، فاحتفظ من الخير تكن من أهله . ولا يغرَّنَّك من اغترَّ بالله

فمدحك بما يعلم الله خلافه منك ، فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير إذا رضي إلا وهو يقول فيه من الشرِّ مثل ذلك إذا سخط . فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء ، لا تَنقل أحسنَ ظني بك إلى غير ذلك . ولن يسعد بالعلماء إلا من أطاعهم .

قال سفيان : فجعلتُ وصية أبي قِبلةً أميل معها ولا أميل عنها !

طلب العلم سنة ١١٩هـ وكان غلاماً صغيراً

ويكمل حديثَ ذكرياته الجميلة فيقول :

كان أبي صيرفيًّا بالكوفة . فركبه دَيْن فحملنا إلى مكة ، فصرت إلى المسجد ، فإذا عمرو بن دينار ، فحدَّثني بثمانية أحاديث ، فأمسكتُ له حماره حتى صلى ، وخرج . فعرضتُ الأحاديث عليه ـ يعني قرأها عليه ـ فقال : بارك الله فيك !

ويقول شعبة بن الحجَّاج : رأيت ابن عيينة غلاماً ،

معه ألواح طويلة عند عمرو بن دينار ، وفي أذنه قُرْط ، أو قال : شَنْف[١] !

ويقول هو عن نفسه : كنتُ أخرج إلى المسجد ، فأتصفَّح الحِلَق[٢] ، فإذا رأيتُ مشيخة وكهولاً جلستُ إليهم .

وقال : جالستُ ابن شهاب وأنا ابنُ ست عشرة وثلاثة أشهر !

وقد أدرك ستة وثمانين نفساً من أعلام التابعين وأركانهم ، كعمرو بن دينار ، والزهري ، ومحمد بن المنكدر ، والأعمش ، وسليمان التيمي ، وحميد الطويل . وحدَّث عنه من الأئمة : سفيان الثوري ، وشعبة بن الحجاج ، والأعمش ، والأوزاعي . . .

---

(١) الشَّنف : ما يعلق في أعلى الأذن ، والقرط : ما يعلق في أسفلها . وقيل : هما واحد .

(٢) جمع حلقة ، وهي حِلَق العلماء .

وقال مجاهد بن موسى : سمعت ابن عيينة يقول : ما كتبتُ شيئاً إلا حفظته قبل أن أكتبه !

وقد روى ابن أخيه الحسن بن عمران أنه حج مع عمه آخر حَجَّة حجَّها سنة ١٩٧هـ ، قال : فلما كنا بجَمع وصلَّى ـ يعني عمه سفيان ـ استلقى على فراشه ثم قال : قد وافيتُ هذا الموضع سبعين عاماً ، أقول في كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحييت الله من كثرة ما أسأله ذلك . فرجع ، فتوفي في السنة التالية من شهر رجب !

قالوا في هذا العالم ..

* قال الإمام الشافعي : أصول الأحكام نيف وخمسمائة حديث ، كلها عند مالك إلا ثلاثين حديثاً ، وكلها عند ابن عيينة إلا ستة أحاديث !

* وقال أيضاً : لولا مالك وسفيان بن عيينة ، لذهب علم الحجاز !
* وقال عبدالله بن وهب : لا أعلم أحداً أعلمَ بتفسير القرآن من ابن عيينة .
* وقال الإمام أحمد : ما رأيتُ أحداً كان أعلمَ بالسنن من سفيان بن عيينة[١] .
* وقال أحمد بن عبدالله العجلي : كان ابن عيينة ثبتاً في الحديث ، وكان حديثه نحواً من سبعة آلاف ، ولم تكن له كتب ! قال : وكان يُعَدُّ من حكماء أصحاب الحديث .
* وقال عبدالرزاق : ما رأيت بعد ابن جريج مثل ابن عيينة في حُسن المنطق .
* وقال الحافظ أبونعيم الأصبهاني : كان عالماً ناقداً ، وزاهداً عابداً ، علمه مشهور ، وزهده معمور .

---

(١) وقال عبدالله بن وهب : أحمد بن حنبل أعلم بالسنن من سفيان .

* وقال الإمام الذهبي : سفيان حجةٌ مطلقاً ، وحديثه في جميع دواوين الإسلام . . وكان صاحب سنة واتِّباع . . هو الإمام الكبير ، حافظ العصر ، شيخ الإسلام . .
* وقال أيضاً : طلب الحديث وهو غلام ، ولقي الكبار ، وحمل عنهم علماً جمًّا ، وأتقن ، وجوَّد ، وجمع وصنَّف ، وعُمِّر دهراً ، وازدحم الخلق عليه ، وانتهى إليه علوُّ الإسناد ، ورُحِل إليه من البلاد ، وألحق الأحفاد بالأجداد .

مواقف .. وتجارب .. وعبر!

● قال أحمد بن سلمة النيسابوري : حدثنا سليمان بن مطر قال :

كنا على باب سفيان بن عيينة ، فاستأذنَّا عليه ، فلم يأذن لنا . فقلنا : ادخلوا حتى نهجم عليه . قال : فكسرنا بابه ، ودخلنا وهو جالس ! فنظر إلينا فقال :

سبحان الله ! دخلتم داري بغير إذني ، وقد حدثنا الزُّهري ، عن سهل بن سعد ، أن رجلاً اطَّلع في جحر ، من باب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ومع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مِدْرى يَحُكُّ به رأسه ، فقال : «**لو علمتُ أنك تنظر لي لطعنتُ بها في عينك ، إنما جُعل الاستئذان من أجل النظر**»(١) .

قال : فقلنا له : ندمنا يا أبا محمد .

فقال : ندمتم ؟ حدثنا عبدالكريم الجزري ، عن زياد ، عن عبدالله بن معقل ، عن عبدالله بن مسعود ، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «**الندمُ توبةٌ**»(٢) . اخرجوا ، فقد أخذتم رأس مال ابن عيينة .

---

(١) أخرجه الشيخان : البخاري في الديات ، باب من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه ، ومسلم في الآداب : باب تحريم النظر في بيت غيره .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٧٦ و٤٢٣ و٤٣٣ ، وابن ماجه رقم ٤٢٥٢ .

● وروى صالح بن أحمد بن حنبل قال : سمعتُ أبي يقول : دخل سفيان بن عيينة على معْن بن زائدة وهو باليمن ، ولم يكن سفيان تلطخ بشيء من أمر السلطان بعد ، فجعل سفيان يعظه ، ويذكرُ له أمر المسلمين ، فجعل معن يقول له : أبوهم أنت ؟ أخوهم أنت ؟

● ورد في مصادر عديدة ، عن حرملة بن يحيى قال :

أخذ سفيان بن عيينة بيدي ، فأقامني في ناحية ، فأخرج من كُمِّه رغيف شعير وقال لي : دع يا حرملةُ ما يقول الناس ! هذا طعامي منذ ستين سنة !

● جاء رجل إلى سفيان فقال : يا أبا محمد أشكو إليك من فلانة ـ يعني امرأته ـ إنني أَذَلُّ الأشياء عندها وأحقرُها .

فأطرق سفيان ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : لعلك رغبتَ إليها وتزوجتَ بها لتزداد بها عزاً ؟!

فقال : نعم يا أبا محمد .

قال : من ذهب إلى العز ابتُلي بالذل ، ومن ذهب إلى المال ابتلي بالفقر ، ومن ذهب إلى الدِّين يجمع الله له العز والمال مع الدِّين .

ثم أنشأ يحدِّثه فقال :

كنا إخوة أربعة : محمد وعمران وإبراهيم وأنا .

فمحمد أكبرنا ، وعمران أصغرنا ، وكنت أوسطهم .

فلما أراد محمد أن يتزوج رغب في الحسب ، فتزوج من هي أكبر منه حسباً ، فابتلاه الله بالذل .

وعمران رغب في المال ، فتزوج من هي أكثر منه مالاً ، فابتلاه الله بالفقر ، أخذوا ما في يديه ولم يعطوه شيئاً .

فبقيت في أمرهما . فقدم علينا معمر بن راشد ، فشاورته ، وقصصتُ عليه قصة إخوتي ، فذكَّرني حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة .

فأما حديث يحيى بن جعدة فهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «**تُنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(١) .

وحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «**أعظم النساء بركةً أيسرهن مؤونة**»(٢) . فاخترت لنفسي الدِّين وتخفيف الظهر ، اقتداء بسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فجمع الله لي العز والمال مع الدِّين .

أسئلة يجيب عليها سفيان ..

* سُئل عن الورع فقال : الورع طلبُ العلم الذي يُعرف به الورع . وهو عند قومٍ طول الصمت وقلةُ

---

(١) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء في الدين . .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/١٤٥

الكلام ، وما هو كذلك . إن المتكلمَ العالم أفضل عندنا وأورع من الجاهل الصامت .

* وقال : أتدرون ما مَثَلُ العلم ؟

مثل العلم مثل دار الكفر ودار الإسلام ؛ فإن ترك أهل الإسلام الجهاد جاء أهل الكفر فأخذوا الإسلام ، وإن ترك الناسُ العلم صار الناس جهالاً .

* وسُئل عن الزهد فقال : الزهد فيما حرَّم الله . فأما ما أحل الله فقد أباحكه الله ، فإن النبيين قد نكحوا ، ولَبِسوا ، وأكلوا ، لكن الله نهاهم عن شيء فانتهوا عنه ، وكانوا به زهَّاداً .

* وسأله أحمد بن أبي الحواري أيضاً قائلاً : يا أبا محمد أي شيء الزهد في الدنيا ؟

فقال : من إذا أنعم الله عليه نعمةً فشكرها ، وابتُلي ببلية فصبر ، فذلك الزهد .

قال : يا أبا محمد ، فإن أنعم عليه بنعمة

فشكر ، وابتُلي فصبر وهو ممسك للنعمة ، كيف يكون زاهداً ؟

قال : اسكت ! فمن لم تمنعه البلوى من الصبر ، والنعمة من الشكر ، فذلك الزهد !

* وحدَّث عمر بن السَّكَن قال : كنتُ عند سفيان بن عيينة ، فقام إليه رجل من أهل بغداد فقال : يا أبا محمد ، أخبرني عن قول مطرف : لئن أعافى فأشكر أحبُّ إليَّ من أن أُبتلىٰ فأصبر . أهو أحبُّ إليك أم قول أخيه أبي العلاء : اللهم رضيتُ لنفسي ما رضيتَ لي ؟

قال : فسكت سفيان مدة ثم قال :

قول مطرف أحبُّ إلي .

فقال الرجل : كيف وقد رضي هذا لنفسه ما رضي الله له ؟

فقال سفيان : إني قرأتُ القرآن ، فوجدت صفة سليمان ـ عليه السلام ـ مع العافية التي كان فيها

﴿نعم العبد إنه أواب﴾[١] . ووجدتُ صفة أيوب ـ عليه السلام ـ مع البلاء الذي كان فيه ﴿نعم العبد إنه أواب﴾[٢] ، فاستوت الصفتان . وهذا معافى وهذا مبتلى ، فوجدتُ الشكر قد قام مقام الصبر ، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحبَّ إليَّ من البلاء مع الصبر !

نصائح .. ودرر من أقواله

* من كانت معصيته في الشهوة فارجُ له ، ومن كانت معصيتـه في الكِبْر فاخشَ عليه ، فإن آدم عصى مشتهياً فغُفر له ، وإبليس عصى متكبِّراً فلُعن .
* من استغنى بالله ، أحوجَ الله إليه الناسَ .
* أرفع الناس منزلة : من كان بين الله وبين عباده ،

---

(١) سورة ص ، الآية ٣٠ .
(٢) سورة ص ، الآية ٤٤ .

وهم الأنبياء والعلماء .

* إذا وافقت السريرة العلانية فذلك العدل ، وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل ، وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجَوْر .

* إذا تَرك العالم «لا أدري» أُصيبت مَقاتله !
* ليس يضرُّ المدحُ مَنْ عَرَف نفسَه .
* لم يجتهد أحد قطُّ اجتهاداً ، ولم يتعبَّد أحد قطُّ عبادة أفضل من ترك ما نهى الله عنه .
* إذا كان نهاري نهارَ سفيه ، وليلي ليل جاهل ، فما أصنع بالعلم الذي كتبت ؟!
* ليس مِنْ حُبِّ الدنيا طلبك منها ما لا بد منه .

* ليس العالم الذي يعرفُ الخير والشر ، إنما العالمُ الذي يعرف الخير فيتَّبعه ، ويعرف الشرَّ فيجتنبه .
* أول العلم الاستماع ، ثم الإنصات ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر .

* الغِيبة أشدُّ من الدَّين ، الدَّين يُقضىٰ ، والغِيبة لا تُقضىٰ .
* لولا أن الله طأطأ من ابن آدم بثلاث ما أطاقه شيء ، وإنهن لفيه ، وإنه على ذلك لوثاب : الفقر ، والمرض ، والموت .
* عليك بالنُّصح لله في خلقه ، فلن تلقاه بعمل أفضل منه . .
* إن مِنْ شُكْرِ الله على النعمة أن تحمده عليها وتستعين بها على طاعته ، فما شَكَرَ اللهَ من استعانَ بنعمته على معصيته .
* اسمعوا ما يقال لكم فإنه أنفع لكم من الحديث : لو أن رجلاً أصاب من مالِ رجلٍ شيئاً ، فتورَّع عنه بعد موته ، فجاء به إلى ورثته ، لكنا نرى ذلك كفَّارةً له . ولو أن رجلاً أصاب من عِرْضِ رجل شيئاً ، فتورَّع عنه بعد موته ، فجاء إلى ورثته ، وإلى جميع أهل الأرض ، فجعلوه في حِلٍّ ، ما كان في حِلٍّ ،

فعرضُ المؤمن أشدُّ من ماله . افقهوا ما يقال لكم .

* التفكرُ مفتاح الرحمة ، ألا ترى أنه يتفكر فيتوب ؟
* ومن دعائه : اللهم متِّعنا بخيارنا ، وأعنَّا على شرارنا ، واجعلنا خياراً كلَّنا ، واجعل أمرنا عند خيارنا ، وإذا أذهبتَ الصالحين فلا تبقنا بعدهم .

أخبار وحكم .. يرويها ابن عيينة

وهذه أخبار وروايات متنوعة ، رواها الإمام الكبير سفيان بن عيينة ، فيها فائدة وعبرة . . وربما قصد أحياناً نفسه عندما يروي عمَّن لا يعينهم ! قال :

* كان رجل يقول : بحسب امرىء من الشر أن يرى من نفسه فساداً لا يصلحها .
* كان يقال : إن للدنيا أجلاً كأجل ابن آدم ، إذا جاء أجلها ماتت .
* رأيتُ أعرابياً جاء يطوف بالبيت ، فتبعتُه فقلت : لعله لا يحسن فأعلِّمه ما يقول . قال : فجاء ،

فتعلق بأستار الكعبة فقال : اللهم إليك خرجتُ وأنت أخرجتني ، وإليك جئتُ وأنت جئتَ بي ، وبفنائك أنختُ وأنتَ حملتني ، اللهم فقد عجَّت إليك الأصوات بصنوف اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك أن تذكرني على طول البلاء إذْ نسيني أهل الدنيا .

* كان يقال : إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة ، لم يزدد على الكثير منها إلا شراً .
* كان رجل يقول : اللهم إني أسألك حسن الظن وشكر العافية .
* قال بعض الفقهاء : العلماء ثلاثة : عالم بالله ، وعالم بأمر الله ، وعالم بالله وبأمر الله .

فأما العالم بأمر الله : فهو الذي يعلم السنة ولا يخاف الله .

وأما العالم بالله : فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السنّة .

وأما العالم بالله وبأمر الله : فهو الذي يعلم السنَّة ويخاف الله . فذاك يدعى عظيماً . .

* قلت لمسعر : أتحب أن يجيئك رجلٌ فيخبرك بعيوبك ؟

قال : إن كان ناصحاً فنعم ، وإن كان إنما يريد أن يؤذيني ويوبخني فلا .

* كان يقال : أشدُّ الناس حسرةً يوم القيامة ثلاثة :

رجل كان له عبدٌ ، فجاء يوم القيامة أفضلَ عملاً منه .

ورجل له مال فلم يتصدَّق منه ، فمات ، فورثه غيره ، فتصدَّق منه .

ورجل عالم لم ينتفع بعلمه ، فعلمه غيره ، فانتفع به .

* سمعت مساور الوراق يقول : إنما تطيب المجالس بخفَّة الجلساء !

* قال أبو الدرداء : ليحذر امرؤ تمقته قلوب المؤمنين من

حيث لا يعلم !

* انتهى حكيم إلى قوم يتحدثون ، فوقف عليهم وسلم عليهم فقال : تحدثوا بكلام قوم يعلمون أن الله يسمع كلامهم والملائكة يكتبون .
* كان يقال : اسلكوا سبل الحق ولا تستوحشوا من قلة أهلها .
* عن عمرو بن دينار قال : قال عمر بن عبدالعزيز : إنما خُلقتم للأبد ، ولكنكم تُنقلون من دار إلى دار !
* قال عمرو بن مرة : أكره أن أمرَّ بمَثَلٍ في القرآن فلا أعرفه ، لأن الله تعالى يقول : ﴿**وتلك الأمثالُ نضربها للناسِ وما يَعْقِلُها إلا العالِمُون**﴾[1] .
* كان ابن عياش المنتوف يقع في عمر بن ذر ويشتمه ، فلقيه عمر بن ذر فقال : يا هذا ! لا تفرط في شتمنا ، وابقِ للصلح موضعاً ، فإنا لا نكافىء من

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٣ .

عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه !

* بينا أنا أطوف بالبيت وإلى جانبي أعرابي يطوف وهو ساكت ، فلما أتم طوافه جاء إلى المقام ، فصلى ركعتين ، ثم جاء فقام بحذاء البيت فقال : إلهي ! مَنْ أولىٰ بالزلل والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفاً ؟! ومن أولى بالعفو منك وعلمك فيَّ سابق وقضاؤك فيَّ محيط ؟!

أطعتُكَ بإذنك والمنتهى لك .

وعصيتُك بعلمك والحجة لك .

فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي ، وفقري إليك وغناك عني ، إلا ما غفرتَ لي .

قال : ففرحتُ فرحاً ما أعلم أني فرحتُ مثله حين سمعتُه يتكلم بهؤلاء الكلمات !

مجالس في الرّقّة والبكاء

* يقول إمامنا الجليل : البكاء من مفاتيح التوبة ؛ ألا ترى أنه يَرِقُّ فيندم ؟
* قال منصور بن عمار : تكلمتُ في مجلس فيه سفيان بن عيينة ، والفضيل بن عياض ، وعبدالله بن المبارك .

فأما سفيان بن عيينة فتغرغرت عيناه ثم نُشفتا من الدموع .

وأما ابن المبارك فسالت دموعه .

وأما الفضيل فانتحب .

فلما قام الفضيل وابن المبارك قلت لسفيان : يا أبا محمد ما منعك أن يجيء منك ما جاء من صاحبك ؟

قال : هذا أكمد للحزن . إن الدمعة إذا خرجت استراح القلب !

* قال أحدهم لسفيان بن عيينة : ألا ترى إلى الفُضَيل لا تكاد تجفُّ له دمعة ؟

فقال سفيان : إذا قَرِحَ القلب نَدِيت العينان .

ثم تنفَّس سفيان نَفَساً مؤلماً !

* كان علي بن الفضيل بن عياض مثل أبيه شديد الخشية سريع الدمعة . . وكان مرة في مجلس من مجالس سفيان التي يذكِّر فيها بالله واليوم الآخر ، ولم يكن يعرف سفيان أن علياً في مجلسه . . فحدَّث بحديث فيه ذكر النار ، وفي يد علي قرطاس في شيء مربوط ، فشهق شهقة وقع ورمى القرطاس ، أو وقع من يده . فالتفتَ إليه سفيان فقال : لو علمتُ أنك ههنا ما حدثتُ به . فما أفاق إلا بعد ما شاء الله .

* روى سفيان ـ رحمه الله تعالى ـ أن عمر بن عبدالعزيز ـ الخليفة الزاهد ـ كان يوماً ساكتاً وأصحابه يتحدثون ، فقالوا له : ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين ؟

قال : كنتُ مفكراً في أهل الجنة كيف يتزاورون فيها ، وفي أهل النار كيف يصطرخون[1] فيها . ثم بكى .

* وحـدَّث ـ رحمـه الله ـ قال : كان طَلْق بن حبيب العَنَـزي البصري العـابـد ، إذا قرأ بكى وأبكى ، وكان إذا قرأ لم يسمعه أحد إلا بكى ، من رقَّته وحُسْن صوته .

قال : وقالت له أمه : ما أحسن صوتك يا بني بالقرآن ، فليته لا يكون وبالاً عليك غداً في القيامة ! فبكى حتى غُشي عليه .

* وروى أن سعيد بن السـائب الطائفي كان لا تكاد تجفُّ له دمعة ! إنما دموعه جاريةٌ دهرَه ! إنْ صلى فهو يبكي ، وإن طاف فهو يبكي ، وإن جلس يقرأ في المصحف فهو يبكي ، وإن لقيته في طريق فهو يبكي !

---

(١) اصطرخ : صاح واستغاث .

قال سفيان : فحدَّثوني أن رجلاً عاتبه على ذلك ، فبكى ثم قال : إنما ينبغي أن تَعْذُلَني[١] وتؤنبني على التقصير والتفريط ، فإنهما قد استوليا علي .

قال الرجل : فلما سمعتُ ذلك منه ، انصرفتُ وتركتُه !

* وقال رحمه الله : كان هناك رجل من أهل الشام يسمى أمية ، يَقْدُم فيصلي مما يلي باب بني سهم[٢] في الحَرَم ، فينتحب ويبكي حتى يعلو صوته ، وحتى تسيل دموعه على لحيته . .

قال : فأرسل إليه الأمير أنك تفسد على المصلين صلاتهم بكثرة بكائك وارتفاع صوتك ، فلو أمسكتَ قليلاً .

---

(١) أي تلومني .

(٢) يطلق عليه الآن «باب العمرة» .

فبكى ثم قال : إن الحزنَ على أيام التيه والضلال التي كنت فيها أورثني دموعاً غزاراً ، فأنا أستريح على ذَرْيها[1] أحياناً .

وكان أمية يقول : ومن أسعد بالطاعة من مطيع ؟ ألا وكلُّ الخير في الطاعة ، ألا وإن المطيع لله مَلِك في الدنيا والآخرة .

قال : وكان يدخل الطواف ، فيأخذ في النحيب والبكاء ، وربما سقط مغشياً عليه !

---

(١) أذرت العين دمعها : أسالته .

ثبت المراجع

١ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال / جمال الدين أبوالحجاج يوسف المزي ؛ حققه وضبه نصه وعلق عليه بشار عواد معروف .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ .

٢ ـ الجرح والتعديل / لابن أبي حاتم الرازي .ـ ط ٢ .ـ حيدرآباد الدكن : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٢هـ (المقدمة) .

٣ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء / أبونعيم الأصبهاني .ـ بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .

٤ ـ الرقة والبكاء / ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق محمد خير يوسف (يعد للطبع) .

٥ ـ الرقة والبكاء / موفق الدين بن قدامة المقدسي ؛ تحقيق محمد خير يوسف ـ دمشق : دار القلم (تحت الطبع) .

٦ ـ سير أعلام النبلاء / شمس الدين الذهبي ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ٠١ ـ ١٤٠٩هـ .

٧ ـ صفة الصفوة / أبوالفرج بن الجوزي ؛ تحقيق محمود فاخوري ؛ خرَّج أحاديثه محمد روَّاس قلعجي .ـ ط ٣ .ـ حلب : دار الوعي ، ١٤٠٥هـ .
٨ ـ الطبقات الكبرى / لابن سعد .ـ بيروت : دار صادر ، د.ت .

الفهرس

بداية حياته وشيء من سيرته ٧
قالوا في هذا العالم ١١
مواقف وتجارب وعبر ١٣
أسئلة يجيب عليها سفيان ١٧
نصائح ودرر من أقواله ٢٠
أخبار وحكم يرويها ابن عيينة ٢٣
مجالس في الرقّة والبكاء ٢٨
ثبت المراجع ٣٣

سلسلة القدوة الحسنة

١ ـ أبو بكر الصديق ـ خليفة رسول الله ﷺ.

٢ ـ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسرّ عدالته.

٣ ـ عمر بن عبد العزيز ـ الخليفة الزاهد.

٤ ـ سفيان بن عُيَينة ـ شيخ الإسلام وحافظ العصر.

٥ ـ عبدالله بن المبارك ـ الإمام المجاهد.

٦ ـ الفضيل بن عياض ـ العالم القدوة.

٧ ـ ابن قدامة المقدسي ـ صاحب المغني.

٨ ـ صلاح الدين الأيوبي ـ ناصر السنّة وقاهر الصليبيين.